المجامع اللغوية والصناعة المعجمية المتخصصة

د. زروقي عبد القادر، جامعة ابن خلدون، تيارت

مقدمة :

اللغة خاصية إنسانية ينفرد بها الإنسان عن غيره من الكائنات وهي في أبسط وأوجز تعريفاتها: "أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[1]. وقد نزل القرآن على العرب بلغتهم التي ينطقون بها وفي عهد نقائها وصفائها وفصاحتها ومع ذلك صعُب على بعضهم معرفة بعض معاني ألفاظه وصيغه، فقد "كان ابن عباس، وهو ترجمان القرآن، يقول: لا أعرف (حنانا) "**وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا**" ولا (غسلين) "**وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ**" ولا (الرقيم) "**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**" "[2] ولهذا احتاج الناس إلى من يكشف لهم معاني ومدلولات ألفاظ القرآن وعباراته[3]، ما دفع علماء اللغة بعدئذ إلى تصنيف كتب خاصة يجمعون فيها ما سمي بغريب القرآن من المفردات ويفسرونها ويوضحون معانيها.

إذاً فالدافع الرئيسي لعلماء اللغة قديماً من وضع مثل هذه المصنفات يتمثل في المرتبة الأولى في حراسة القرآن الكريم حتى لا يطاله أي خطأ في النطق أو الفهم، ثم يأتي بعد ذلك السبب الثاني الذي كان يرمي بفعله اللغويون إلى المحافظة على لغة العرب الأولى بعدما انتقل هؤلاء من حياة البداوة إلى حياة الحضارة وتأثرت لغتهم بأهل الحضر مما جعل هذه اللغة الصافية تتعرض للخطر. كما كان الاحتياج إلى هذه الكتب كمصدر تُترصد فيه مفردات اللغة على مر العصور، وتتبع كل معانيها ومفاهيمها عبر تطوراتها المختلفة و إلا سيفقد جزء بالغ من هذه اللغة، وعلى إثر ذلك صنفت معاجم وقواميس اللغة على مختلف أنواعها وأشكالها ومناهجها.

هكذا كان من أعظم ما ابتكره الإنسان لحماية اللغة والحفاظ عليها حية نامية متطورة تأليف معاجم التي تحفظ مفردات اللغة القومية وتتولى تفسيرها وتوضيحها وتتكفل ببيان صور استعمالاتها وتمييز الأصيل من الدخيل والحقيقي من الزائف.

المعجم العربي

المعجم من العجم، والعجم، خلاف العرب والأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، والعجم: الإبهام والخفاء وعدم الإفصاح. وعجمت الكتاب: أبهمته. وأعجم: أزال العجمة أو الإبهام. و"المعجم" بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين.

وأول من استعمل لفظة المعجم من المحدّثين الإمام البخاري، فقد جاء في "الجامع الصحيح" باب تسمية من سمى من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف

المعجم. وأول كتاب أطلق اسم المعجم هو: معجم الصحابة[4]. كما يعد تفسير ابن عباس نواة للمعاجم العربية التي كانت أوائلها تحمل اسم (غريب القرآن)[5] أما الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170ه) فهو صاحب أول معجم في العربية وإنه لم يسم كتابه "معجما" وإنما سماه كتاب العين وليس (معجم العين).

وقد استعملت كلمة معجم في العربية بدلالة أخرى غير الدلالة السابقة وهذه الدلالة الأخرى هي: الكتاب الذي يقدم مجموعة المعارف الأساسية في أحد موضوعات المعرفة. وبهذه الدلالة أطلق البكري (ت487 ه) على كتابه: "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" وياقوت الحموي(ت626 ه) "معجم البلدان" والمرزباني (ت 384ه) "معجم الشعراء".

ولم يطلق لفظ معجم على المؤلف المعجمي بشكل مباشر إلا مجمع اللغة العربية عندما سمى: المعجم الكبير، المعجم الوسيط والمعجم الوجيز. لذلك إذا نظرنا إلى لفظ المعجم في الاصطلاح فهو: كتاب يضم أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء وإما على الموضوعات...الخ لذلك يمكن حصر ما مرّ به المعجم العربي من تطور في خمس مراحل هي[6] :

1. مرحلة النظام الصوتي ونظام التقليبات.
2. مرحلة النظام الألفبائي الخاص.
3. مرحلة نظام القافية.
4. مرحلة النظام الألفبائي العادي.
5. مرحلة النظام الألفبائي النطقي . بدون تجريد .

غير أننا في النهاية لا يمكننا إلا أن ننتظر من هذا المعجم اللغوي العربي إلا أن يجد إمكانية مسايرة للتطور اللغوي الذي به تكتسب اللغة مستوى من الضخامة والسعة والتشعب بحيث لا يستطيع أحد الإحاطة بها، وبكل ما تشتمل عليه من صيغ وتراكيب وأساليب وكلمات، مهما اتسع علمه وسمت قدراته أو مواهبه ودامت ممارسته للغة، فقد أكد ابن فارس ذلك بالنسبة للغة العربية بقوله "وما بلغَنا أنّ أحداً ممن مضى أدى حفظ اللغة كلهاً"[7] ونزّه الخليل بن أحمد أن يدّعى ذلك، مع أن الخليل كان علامة ونابغة عصره في اللغة وعلومها، فقد كان معجمه "العين" بطريقة إحصائية قامت على جملة من الأسس منها: . حجم الكلمة . الترتيب الصوتي . نظرية العناصر. التوافيق والتباديل . بدء الثاني مما يلي الأول[8].

وانطلاقا من هذا تقرر في هذا المعجم أن كلمات العربية إما ثنائية وثلاثية ورباعية أو خماسية ونتيجة لذلك يمكننا تركيب الحروف فيما بينها مثنى وثلاث ورباع وخماس بَالِغِين في ذلك كل الصيغ الممكنة :مثل: بد، دب، أبد، أدب، بدأ، باد، داب، دبا. ثم ببد، بدب، دبب، ثم

تبد، تدب، بدت، بتد، دتب، دبت...الخ. ثم يسقط المكرر منها وهكذا إلى أن تستهلك جميع الحروف الهجائية متبعين الصيغ النابعة (من حرفين إلى خمسة). وقد بلغت هذه الألفاظ كما يقول بعض الدارسين المهتمين إلى اثني عشر مليوناً وثلاثمائة وخمسة آلاف وأربعمائة واثنتي عشرة لفظة 12305412. وقد قيل إن ما يستعمله المثقف العربي المعاصر من مفردات لغوية في الكتابة والتأليف والكلام لا يكاد يتجاوز الستة آلاف لفظة.

فقضية الإحصاء هي التي دفعت إلى إيجاد المعجم، فضلا عن الذود القرآن الكريم، زيادة على السبب الثقافي الهام، الذي يتمثل في إدراك علماء اللغة لأهمية العمل المعجمي في المادة التي جمعت، من حيث تصنيفها في شكل أعمال معجمية جادة.

وغدا تدوين المعجم ضرورة لغويّة لكل مجتمع متقدم، ليتمكن أفراده من معرفة الكثير من المعلومات التي توضح ما يحيط بالمادة الأساسية فيه ألا وهي الكلمة[9]. وبذلك شكّلت الكلمة المادة الأساسية في المعجم اللغويّ، ولذلك عُرِّف بأنّه "كتاب يضم بين دفتيه أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبيّن مواضع استعمالها"[10]

واستنادا على هذه الاهتمامات العربية بالعمل المعجمي اكتسبت الأمة العربية من التجارب في وضع المعجم ما يعسّر بشكل كبير على من اضطلع بمهمة بناء المعجم من الصعوبة لكي لا يقع في التكرارية والرتابة. هذا الإلمام وهذه الشمولية يمكننا أن نرصدها من خلال الأشكال والأوجه التي اتخذها العجم اللغوي العربي عبر مراحله في الشكل التالي:

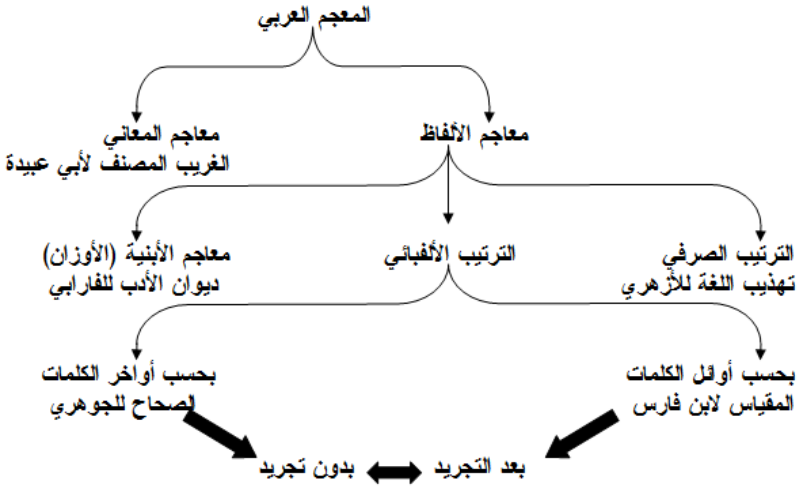

هذه الاحترافية الفائقة شكلت قاعدة قامت عليها شهادة الغرب من تفوق العرب في صناعة المعجم حيث قال **Haywood** " الحقيقة أن العرب في مجال المعجم يحتلون مكان المركز، سواء في الزمان أو المكان، بالنسبة للعالم القديم أو الحديث، وبالنسبة للشرق أو العرب"[11].

أو كما قال الأستاذ "نولدك" وهو أحد الفلاسفة المشتغلين باللغات: "يجب أن نعترف بأن معجم اللغة العربية غني غنى رائعا وسيبقى دائما مرجعا هاما لتوضيح ما غمض من التعبيرات في جميع اللغات السامية الأخرى وليست اللغة العربية غنية بكلماتها فحسب بل بقواعد نحوها وصرفها أيضا."[12]

أهمية المعجم على الصعيد العربي الحالي

استنادا على ما سبق يأتي الإلحاح على ضرورة استجابة المعجم للحاجة وتطور الحياة تبعاً للوظائف والأهداف التي يرسمها الفرد؛ لأننا اليوم بحاجة إلى معجم يستجيب للظروف الحضارية التي يعيشها الإنسان العربي اليوم.

إضافة إلى أنّ هذه الحاجة إلى المعاجم تتأكد انطلاقاً من:

أولاً: إنّ اللغات بطبيعتها التطورية في حاجة مستمرة للابتكار المعجمي الناشئ عن تداول الكلمات واستهلاكها، والذي يطلق عليه "انخفاض قيمة المفردات سابقة الصلاحية"[13].

ثانياً: تأتي الحاجة استجابة لعدة دوافع منها الثقافي والعلمي والوجودي.

أما الدافع **الثقافي**: فيتمثل في مواكبة العرب لهذا المد المعرفي والاكتساح الاختراعي، مما يستوجب تنظيماً وإعادة هيكلة لمنظومتنا المعجمية، حتى يكون هؤلاء العرب متماشين مع الحياة اليومية للمواطن العربي باستحداث للمعاجم لما لها من أهمية فهي الحجر الأساس للتهذيب اللغوي؛ لأنها تزود اللغات الحديثة بالقوة الوظيفية في مختلف الماديين.

أما على مستوى الجانب **العلمي** الذي لا يقل عن الأول أهمية لما يشهده العالم من ارتقاء تكنولوجي وثراء علمي، وهو ما يفرض على حملة اللغة العربية أن يضعوا الوسائل القمينة التي بإمكانها أن تحتوي ذلك، ولا يوجد حسب ما تفرضه الضرورة العلمية أكفأ من المعاجم، لاستبيان واستجلاء تلك الحقائق العلمية.

أما فيما يتعلق بالجانب **الوجودي** لهذه الأمة، فمما لا يمكن التغافل عنه والتهوين من شأنه في ظل ما نراه من هيمنة غربية تريد أن تطمس الآخر على جميع الأصعدة وتمنعه من كل أسباب الوجود، ما يفرض على علماء ولغويّي العرب قبل غيرهم أن يضطلعوا بهذه المهمة ويؤسسوا لهذا الاتجاه ما يمنح لأمتهم، ومن ثمة لغة أمتهم، حق الوجود في هذا العالم بهذه المعطيات.

ولما كانت الانشغالات لا تسمن ولا تغني من إملاق، وكذا المجهودات الفردية لا يمكنها أن تجابه منظمات وهيآت دولية، كانت ضرورة الاجتماع فارضة لنفسها، ولنا في ما اضطلع به . بصورة انفرادية . المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط الذي قام بإعداد 34 معجم والإشراف على إتمام 20 معجم آخرين [14]. ومع ذلك فهو لم يحقق الهدف المرجو، لكون معاجمه لم تحظ بإجماع عربي. فكان استحداث المجمع اللغوي الذي يعتبر أهم محطة ينبغي للأمة أن تقف عندها، لما يحدثه عمل المجمع اللغوي في حقل العلوم اللغوية، ومن ثمّ يصبح ملحاً للوجود أكثر من أي زمن مضى حتى يستطيع أن يوجد من اللغة، ما تتكفل به المعاجم العربية الحديثة.

لكن عن أي مجمع عربي نتحدث؟ وأي معجم نريد من المجامع اللغوية ؟

المجامع اللغوية

يمثّل المجمع اللغوي المؤسَّسة الوطنية أو القوميّة التي تتألف من أعضاء متضلِّعين في اللغة، ويعمل هذا المجمع على دراسة هذه اللغة وتطويرها، ويعدّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة من المجامع اللغوية التي أثبتت وجودها من خلال جهوده المعجمية منذ إنشائه عام 1932 إذ اضطلع بالمحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وفيّة بمطالب العلوم والفنون في تقدّمها وملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وقد أسندت هذه المهمة وقتئذ إلى المستشرق الأماني "أوجست فيشر" ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فلم يجد هذا المجمع بداً من أن ينهض بنفسه بهذا العمل، فأخرج من المعجم المتفق عليه حتى سنة 2000 ثلاثة أجزاء حرف الهمزة حرف الباء حرفي التاء والثاء، كما أحرج المعجم الوسيط الذي لا يقل في نظامه عن أحدث المعاجم الأجنبية. كما أنه وجدت مجامع أخرى منها مجمع اللغة العربية بدمشق، والمجمع العلميّ العراقيّ الذي تخصص في المصطلح.

لذلك يمكن القول أنّ استحداث المجامع للمعاجم أهم الأعمال التي ينبغي عليها أن تقوم بها، لما للمعجم من أهمية في الحياة اليومية للمواطن العربي أولا ثم أهميته في اللغة ثانيا. نظراً لرصده لما يلحق بها من تغييرات، ومعاني، ومصطلحات وأسماء ومشترك لفظي وترادف.

لذلك تفرض صناعة المعجم على المجامع اللغوية العربية أن تقوم على تصور بصفة موحدة لاهتمامات الأمة العربية كي تستفيد من كل يتم وضعه في الساحة العالمية، مما يجعل من معجمها معجما يساير اهتمامات البحث العربي في كل المجالات؛ لأن أثر المعاجم ومدى فعاليتها يتوقف بصورة أساسية على نسبة استعمالها ثم على معرفة الفرد بأنواعها وأشكالها ومناهج تصنيف المفردات فيها، وأخيراً على طرق استخدامها وكيفية استغلالها وأوجه الاستفادة منها. انطلاقا من أنّ المعجم اللغوي خزان اللغة وكنزها الذي يستمد منه الإنسان ما

يغني حصيلته اللغوية ويذكيها ويجعلها مرنة طيعة في مجالي الأخذ والعطاء. ومن هنا تتجلّى أهمية المعجم بالنسبة إلى مستعمله في كونه نقطة الانطلاق من المعلوم للوصول إلى المجهول. "باعتبار أن المعجم العربي عمل مرجعي"[15] وذلك ما يعني أن مهمَّة المعجم محصورة في الاستشارة المحددة، دون التجاوز إلى المطالعة أو حتى القراءة والتتبع من بدايته، وهذا ما يفرض على صانعي المعجم أن يلتزموا طريقة قمينة بتصنيف المعلومات بكيفية منتظمة بدقة متناهية تكفل للمستعمل باختلاف مستواه أن يصل إلى المعلومة بأيسر طريق وأبسط جهد.

وهذا يدفع المجامع العربية ألاّ تنكفئ على نفسها وأن تستفيد من تجارب الأمم الأخرى باعتبار الأولى أوّلا حديثة العهد وقريبة النشأة مقارنة بغيرها من المؤسسات اللغوية العالمية، ومن ثمّ فهي محدودة التجربة، وثانيا إنّ صناعة المعجم تحوي قدراً مشتركا بين اللغات في التعامل مع المادة اللغوية سواء من حيث القواعد التنظيرية في هذه الصناعة، أو في ما يتعلق بالمناهج والإجراءات التي يطبّقها ويركبها صانع المعجم لكي يصل إلى تطويع المادة اللغوية فيَسْهل التعامل مع هذه المادة المأخوذة في أيّ لغة من اللغات المختلفة. وكل هذا يمكّن من استغلال المعجم بوصفه مصدراً أساسياً لتنمية القدرات اللغوية من جهة وللوصول من أقرب الطرق إلى الكشف عن المادة اللغوية.

أسباب فشل المجامع اللغوية في بناء معجم يتماشى والواقع العربي الراهن:

1.. تشتت الجهود المجمعية:

إنّ الواقع العربي المؤلم بما فيه من تشتت لقوى الأعراب بين الأقطار في بناء المعجم ووضع كل فريق منهم ما يناسبه أو ما يهوى له أو حتى ما يملى عليه، دونما أي تنسيق أو حتى الرجوع على سبيل الاستشارة فقط إلى المراكز والمكاتب والمجامع والمنظمات العربية المخولة بذلك. هو ما جعل من المعاجم العربية الحديثة خاصة فيما تعلق بالمصطلحات تمتاز "بعدم الاتفاق على المقابل الواحد للمفهوم المعين، وإمكانية تفسير المصطلح بأكثر من معنى تبعاً للمدرسة المعينة التي تستخدمه".[16] كما ينضاف إلى ذلك أسباب أخرى أدّت إلى فشل المعجميين العرب يمكن حصرها فيما يلي:

2.. عدم اللجوء إلى الجمع الميداني.

3.. ضخامة حجم المادة.

4.. التطور السريع الذي تشهده المنظومات الاصطلاحية.

كان الخلوص إلى هذه النتائج نظراً لما شكّلته صناعة المعجم عالميا من تطور متمثّل في إخضاعها للتطور العلمي وتسخيرها للأجهزة الحديثة بتوفير قاعدة بيانات لتسهيل الاستفادة من المادة قصد تحليلها وترتيبها. فالغرب يستثمر معاجمه الحديثة ويحرص على أن تكون الأكثر

ضخامة من معظم الكتب؛ لأنه يرى أن معجم اللغة الواحدة مثّل ابتكارا لعصر النهضة، وأصبح واحداً من أهم مبتكرات عصر التنوير، فقد ساعد بشكل كبير في التوحيد اللغوي، كما أن المعجم يجسد مفردات اللغة ويحولها إلى أشياء، لتصبح بالتالي ملكا ماديا محتملا لكل عضو في الجماعة اللغوية.[17]

ولأجل ذاك وُضِعت في الدول الغربية الاستراتيجيات الرئيسية للاستجابة للطلب المعجمي الناشئ متمثلة في الاشتقاق وتكوين الكلمات والاقتراض. كون أن "لعبة المعجميين هي الكلمات نفسها لا صيغها".[18]

فيما أن الصناعة العربية للمعجم لم تركب هذه الموجة مما حدا بمعجمها أن يتراجع في اتصافه بالمقاييس العالمية، ومن ثم لا يلبّي احتياجات المستهلكين المتنوعة والمتفاوتة. ولذلك أصبح من الضرورة على الأمة العربية الاعتناء بوضع معاجمها لأن "التصنيف المعجمي يمثِّل ضربا من النشاط الدؤوب للحفاظ على جوهر العربية الفصحى".[19] هذا ما يفرض أن تكون صناعة المعجم العربي متأسية بكثير من البلدان الغربية التي أصبحت تمول المشروعات البحثية في المعاجم الاصطلاحية خاصة، رغم تمتعها بتطبيق فوري لمعجم اصطلاحي هائل، على عكسنا نحن، ولكنها مع ذلك تضع أسسا مهمة لتطوير لغاتها للأعراض الخاصة والمصطلحات وأنظمة المعرفة الأخرى.

لنستنتج في النهاية أنّ أهم سبب في فشل المجامع اللغوية العربية وعدم تمكنها من بناء معجم عربي متكامل، والمتمثل في **عدم إعطائنا الأولوية للمعجم**، نتيجة عدم فقهنا لدوره الفعال في تطوير اللغة، وفي مسايرة الركب الحضاري المحيط بالأمة العربية.

أفق الصناعة الناجحة للمعجم العربي:

لا يتأتى ذلك الشفاء ولا تزول تلك العلل ولا تحل العافية فينا ولا علينا إلا بإنشاء واليوم قبل الغد تصورا موحدا لأهمية المعجم، وإقامة المشروعات البحثية التي تميز المعجم العربي الحديث الناجح من خلال تبني خطة عمل يمكن إيجازها فيما يلي:

المزاوجة بين معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني

فمَعَاجم الألفاظ هي التي تساعد على كشف معنى غامض أو تمكّن من إدراك التطوّر الدلاليّ للفظة بين معناها الأصليّ والمعاني المتطوّرة مجازاً، كما أنها تفيدنا في نطق بعض الألفاظ الغربية، وقد حفلت اللغة العربيّة بمعاجم كثيرة من هذا النوع مثل: "كتاب النوادر" لأبي زيد الأنصاريّ، و"كتاب الخيل"، و"كتاب الإبل"، و"كتاب الشاء"، "وكتاب أسماء الوحوش"... وجميعها للأصمعيّ، وكتاب "العين" للخليل بن أحمد، و"الصحاح" للجوهريّ، و"أساس البلاغة" للزمخشريّ، وغيرها.

في حين تفيد معاجم المعاني المستعمل في البحث عن لفظٍ لمعنًى معيّن، وقد وضعها اللغويّون والأدباء منذ بدء عصر التدوين. وكانت في البدء عبارة عن رسائل تختصّ في دائرة معّينة من المعاني، نحو: "كتاب المطر"، و"كتاب اللّبأ واللبن" لأبي زيد الأنصاريّ، و"كتاب الألفاظ" لابن السكيت، و"الألفاظ الكتابيّة" لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني، و"فقه اللغة " للثعالبي، و"المخصّص" لابن سيدة وغيرها. أي أننا نتعرف في مثل هذه المعاجم على اللفظ وما يتصل به من معنى أثناء استعماله، وهكذا يتشكل لدينا المعنى العام، ثم في الآن ذاته نتعرف على ما يقع في دائرته من ألفاظ وعبارات ومصطلحات.

العمل على احترافية المعجم العربي :

الاهتمام بهذه الاحترافية ينشئ لدينا نوعين من المعاجم بإمكانهما أن يفيا الغرض فيما يتعلق باهتمامات المستعمل وكذا مستواه، وهذا ما يمكننا تجسيده في المخطط التالي:

فأما **المعجم العام** فيهتم بتغطية مفردات اللغة عامة خاصة في إطارها المعياري على مستوى ما يلحق بالألفاظ من بناء، وقد ينسحِب على بعض المفردات التي تتخذ شكل الاصطلاحات التي تبلورت في إطار تخصصي محدد.

أما **المعجم الخاص** فيتنوع في اختصاصه سواء بالتضاد أو الترادف أو ما إلى ذلك، غير أنّ الذي يهمّنا منه بصورة كبرى ما يتعلق بمصطلحات العلوم والفنون. كون أنّ هذه الألفاظ الاصطلاحية تحقق صفة الشمول والاحتواء الكامل للمفردة التي وظفت في حقل معين من الحقول العلمية أو الفنية المحددة. وهو ما يتعسر على النوع الأول من المعاجم أي المعجم العام؛ لأنه لا يلم بالاستعمال المحصور للفظة. الذي ينشأ تحت طائلة حركية اللغة وتغيرها الدلالي المستمر.

الخروج عن النمطية القاموسية القديمة

وهذا يعني أن يحيا المعجم العربي الحديث على الاستعمالات اللغوية التي خارج المعجم العربي القديم أو لنقُل الكلاسيكي، كما ينبغي أن يعتمد الألفاظ التي تتردد في النصوص الحية.[20] وهذا يؤول بنا إلى أن لا تكون الطريقة القديمة في جمع مادة المعجم هي المسيطرة. مما يجعل مادة هذه المعاجم الحديثة غير خاضعة في انتقالها من معجم إلى معجم.

تنوع جمع المادة المعجمية

وهذا ما يفرض على بناة المعاجم أن يعددوا مضانّ المعجم العربي الحديث ممّا يوفّر لها التنوع والإثراء، لذلك ينبغي أن تتمّ عملية جمع المادة المعجمية من خلال المصادر التالية على الأقل:[21]

1. المصادر الأولية أو الأساسية، وتشمل جميع المادة الحية المأخوذة من نصوص واقعية.

2. المصادر الثانوية، وتشمل المعاجم السابقة.

3. المصادر الرافدة، وتشمل مجموعة من المراجع اللازمة للتوثيق وتحديد العبارات المسكوكة والمصطلحات السياقية واستكمال الثغرات.

تنويع لغة المعجم العربي

وهو ما يشكل لنا **معاجم أحادية** تتفق فيها لغة الشرح مع لغة المُدخل. و**معاجم ثنائية** وفيها تختلف لغة الشرح عن لغة المدخل. وإن كانت الدول العربية لا تعير اهتماما لمثل هذه المعاجم ذات ثنائية اللغة، فإن الدول الغربية على عكس ذلك تماما فهي تعطيها أهمية بالغة ولا تعير لها الكلفة المادية؛ لأنها ترى في تلك المعاجم الثنائية استثمارات متصلة باللغة، فالمعجم هنا لا يمكن بيعه بوصفه سلعة في السوق قد تدُرّ رِبْحا، وإنما هو استثمار في اللغة ذاتها إذ بربطِ لغته بلغة أخرى يعد مصدراً محتملاً لإثرائها. كما أنه فُتح المجال أمام الترجمة التي تدل كثرتها في لغة ما دليل على تطور اللغة وعلى ثرائها. وفي ذلك يرى ليبز أن: "المعيار الصحيح للوفرة أو النقص في لغة معينة يوجد في ترجمة الكتب الجيدة من اللغات الأخرى إلى تلك اللغة...وفي الوقت نفسه فإن اللغة الأغنى والأكثر ملاءمة هي تلك اللغة التي تسلم نفسها بسهولة أكبر للترجمة الدقيقة، وتكون قادرة على تتبع الأصل خطوة بخطوة".[22]

توحيد منهجيات صناعة المعجم العربي

كنقطة ختامية لضمان صناعة ناجحة للمعجم العربي المتخصص ينبغي أن يتم التوحيد في الجهود والرؤى بين المجامع اللغوية والهيئات المهتمة بأمر اللغة العربية وتطويرها ونتيجة ذلك تتوحد المجامع الموجودة بالبلدان العربية، من خلال ما تتوفر عليه من كفاءات بشرية هائلة ابتداء من علمائها الذين لهم ولاشك مقدرة واطّلاع على أسرار اللغة العربية، كما أنهم يتشكلون من مختلف حقول الاختصاص العلمي، فمنهم اللساني والأديب والطبيب والمهندس والكيميائي... وهكذا توفر للمواطن العربي وحدة المنظومة الاصطلاحية وفق لغة عربية مطواعة يستطيع أن يعبر بها وبكل دقة عن المخترعات الجديدة والأشياء المستخدمة والمفاهيم والأفكار المبتكرة.

سبيل الارتقاء بالمعاجم المتخصصة أو المعاجم الاصطلاحية

لا يجوز أن يبقى المصطلح العلمي العربي متعلقا باللغة وإنما ينبغي أن يرتقي فيصير قضية سياسية وثقافية واجتماعية وصناعية، وأن يتحرر مما شب عليه من التمزق والانهيار والوهن. والسبب في ذلك:

- الازدواجية التي لازمته. والناجمة عن تعدد الجهات التي تضعه من خلال التعدد اللغوي الأجنبي الذي تستقي منه معارفها.
- غفلة واضعي المصطلح التراث العلمي العربي عند الوضع.
- عدم التمكن من المعرفة التامة لمعاني المشترك اللفظي في العربية.
- تعدد سياسات الدول العربي التي لا تلقي، ولا تعبأ إحداها بالأخرى.
- تعدد المراكز الثقافية عبر الوطن العربي، لكن دون تنسيق فيما بينها.
- المجامع اللغوية ضامرة السلطات. فإسرائيل تحرّم استخدام المصطلح الأجنبي ما إن يتم إقرار مقابله العبري.
- عدم تجاوب هذه المجامع مع المتغير المعلوماتي. ففي اليابان مثلا ينشر بشكل منتظم قوائم المصطلحات العلمية اليابانية وكتيبات لصياغة المصطلحات.
- محدودية الموارد.
- عدم إقامة مجمع لغوي عربي موحد. بينما المجمع الملكي الإسباني . مثلا . في مدريد يشرع الإسبانية سواء في مواطنها الأصلي أو في المجتمعات الناطقة بها في أمريكا اللاتينية.

الخاتمة :

وختاما نجزم أنه لا نقاش في أن كل لغة من اللغات تخضع للنموّ والتّطوّر، وهذا النموّ وذاك التّطوّر يكونان بما توفره المعاجم من ألفاظ متماشية مع التطور الحضاري والعلميّ تلبية للمتطلبات الآنية للتقنية، وهي متطلبات تتزايد ساعة بعد ساعة، تماشياً وحركة الاختراعات والاكتشافات... فالمادة المعجمية تولد بميلاد المسمّى. واللغة تحيا من خارجها لا من داخلها تحيا باستخدامها وبإبداع الجماعة الناطقة بها، فاللغة هي إبداع الكاتب وخيال الشاعر، وابتكار العالم، وتحليل الناقد، وتوقعات القارئ وتصنيف المعجمي، وقرار المجمعي. ولإنجاح المعاجم العربية المتخصصة ينبغي وضع خطة قومية للترجمة ترسم الطريق وتتبين الإمكانات وتحددها للوصول إلى أفاق معينة، ولا يتم ذلك إلا بالتنسيق على المستوين الوطني والقومي. إذ للتنسيق أهمية بالغة، فهو يسهل التعاون التقني بين الشعوب، ويهدف إلى تحسين المصطلحات المستعملة وتوحيدها، وحتى تتحقق الفائدة يجب إنشاء بنك معرفي عربيّ واحد للمفاهيم

وتعريفاتها ومصطلحاتها، وربط الجهود بالهيئات القطرية والقومية المعنية فيتم التنسيق والتوثيق، وتنشر المادة المعجمية الموحّدة.

لكن ! وللأسف الشديد !لقد نضب فكرنا العربي في معظم مجالات الثقافة من فكر اللغة، وفكر الإعلام، و فكر التربية، وفكر الإبداع، وفكر الإبداع، وفشلت مجتمعاتنا في أن تصنع رجالا في مستوى العولمة على مستوى اللغة والنقد والفلسفة وسائر العلوم...

إحالات البحث ومراجعه:

1 . الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق، محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، سنة 1952، ج/1، ص : 314.

2 . سورة مريم الآية: (13) . سورة الحاقة الآية: (36) . سورة الكهف الآية: (9) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط.1، سنة: 1376 هـ، ج/2، ص: 175/174.

3 . ينظر، المعجم العربي : نشأته وتطوره، د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، (دت)، ج/1، ص: 39 وما بعدها .

4 . ينظر، دراسات في الدلالة والمعجم، د. رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، سنة، 2001، ص:141وما بعدها.

5 . ينظر، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، د. فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988 م، ص : 206.

6. علم الدلالة والعجم العربي، عبد القادر أبو شريفة وآخران، دار الفكر، عمان، ط1، سنة: 1989م، ص: 118.

7 . المزهر في علوم اللغة و أنواعها، جلال الدين السيوطي، تح. أبو الفضل إبراهيم وآخران، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ج/1، ص:64.

8 . صناعة المعجم الحديث، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر، ط1، سنة: 1998م، ص:26 .

9 . اللغة العربية مبناها ومعناها، د . تمام حسان، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، القاهرة، سنة: 1998، ص: 315.

10 . مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، سنة: 1402هـ، ط/2، ص: 38.

11 . عن صناعة المعجم الحديث، د. أحمد مختار عمر، ص: 27 .

12 . دراسات في الشريعة والأدب والاجتماع، جمال الدين العياشي، مطبعة فانزي، تونس، سنة 1977 م، ص: 120 .

13. اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ترجمة د.أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة الكويت نوفمبر، سنة 2000 م ص : 329.

14. دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، شحادة الخوري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط1، سنة 1989م، ص: 133.

15 . صناعة المعجم الحديث، د. أحمد مختار عمر، ص: 22.

16 . المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مكتب تنسيق التعريب، الألكسو، تونس، سنة: 1989م، ص: 298.

17 . ينظر، اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ص : 95 .

18 . اللغة العربية مبناها ومعناها، د . تمام حسان، ص : 168 .

19 . علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، د. فايز الداية، ص : 206 .

20 . ينظر، صناعة المعجم الحديث، د. أحمد مختار عمر، ص: 76.

21 . من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، أحمد شفيق الخطيب، ضمن كتاب في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، سنة: 1987م، ص: 53.

22 . ينظر، اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ص : 300 .